

الرسالة إلى فلورا والكتابات الغنوصية

ترجم النصّ وقدم له وعلّق عليه الخوري بولس الفغالي^٥

بين النصوص التي أوردها آباء الكنيسة، والتي ترتبط بالعالم الغنوصي، نقرأ الرسالة إلى فلورا. فهذه المسيحية اهتمت بأصل الشريعة. فأرسل إليها بطليموس، أحد تلاميذ ولنطينس، مقالاً قصيراً يقدم فيه تفسير العهد القديم تفسيراً مسيحياً. هذه الرسالة وصلت إلينا في اليونانية، في كتاب عن الهرطقات لأيقانيوس، أسقف سلامية. قبل أن تقدّم ترجمتها إلى العربية، نعرّف إلى المدرسة الغنوصية التي ارتبط بها بطليموس. وفي نهاية مقالنا، نحاول أن نتطرق إلى الأفكار الرئيسية لهذه الرسالة التي كانت جزءاً من تأليف بطليموس حول تفسير الكتاب المقدس.

١ - بطليموس، تلميذ ولنطينس

في القرن الثاني ب.م. يبرز تيار فكريّ كانت له جذور بعيدة حتى قبل المسيح^(١)، ولكن نصوصه تعود إلى القرن الثاني ب.م. سواء ما ورد لدى آباء الكنيسة^(٢)، أو ما وصل إلينا من وثائق اكتُشفت في نجع

(٥) باحث في الكتاب المقدس وآباء الكنيسة الشرقية.

(١) A. J. FESTUGIERE, *La révélation d'Hermès Trismégiste*, Paris, 1944-1954;

A. D. NOCK, -A.-J., FESTUGIERE, *Hermès Trismégiste. Texte établi et traduit*, Paris, 1959-1960.

(٢) نذكر على سبيل المثال في موشيات إكلنضوس الإسكندراني (Stromates II, III)

(IV) من آثار ولنطينس، وفي تفسير يوحنا لأوريجانس، ما قاله هرقلون عن

حمادي^(٣) (مصر)، سنة ١٩٤٥. إنّه التيار الغنوصي^(٤) الذي كان ولنطينس^(٥) أكبر شاهد له، فترك آثارًا في مختلف مناطق الإمبراطورية الرومانية (مصر، سورية، آسية الصغرى، إيطاليا، غالية أو فرنسا الحالية، إفريقيا الشمالية)، منذ القرن الثاني حتى القرن الخامس. ولكن ذروته كانت في النصف الثاني من القرن الثاني وبداية القرن الثالث^(٦).

أما الغنوصية فتيار فلسفي ودينيّ يستند إلى المعرفة الباطنية. هي معرفة تحمل الخلاص. موضوعها أسرار العالم الإلهي والكائنات السماوية، ولا يصل إلى هذه الأسرار إلا المتدرّجون. أما أساس الغنوصية ففصل بين الخلق والقداء. سُخِّقَ العالم المحسوس فبدا خاضعًا لقوى محدودة أو شريرة، بينها إله العهد القديم، إله الشعب اليهودي،

= الإنجيل الرابع. أما إيريناوس فأورد في كتابه ضدّ الهرطقة النصوص العديدة من العالم الغنوصي.

M. De MERODE, Nag Hammadi, *Dict. Enc. de la Bible* (Paris, 1987) p. (٣) 883-889. *Bibliothèque copte de Nag Hammadi, section Textes*, Québec, Louvain depuis 1977; D.M. SCHOLER, *Nag Hammadi, Bibliography*, 1971; *Nag Hammadi, Bibliography 1970-1982*, Leiden, 1983.

(٤) بولس الفغالي، الغنوصية أو العرنان، المصرة ٨٤٧ (أيلول - تشرين الأوّل ٢٠٠٠)، ص ٦٦٥-٦٩١.

E. CORNELIS, Le Gnosticisme, *Dict. de spiritualité* t. 6 (Paris 1967), col 523-542; (cite DS6); R.M. GRANT, *Gnosticism and Early Christianity*, New-York, 1959; tr. Fr. *La gnose et les origines chrétiennes*, Paris, 1964; M. TARDIEU et P. HADOT, Gnostiques, *Encyclopaedia Universalis* t. 8 (1984) p. 654-656.

G. BARDY, «Valentin», *Dict. De théologie catholique*, T. 15 (Paris, 1950), (٥) col-2497-2519 (cite DTC 15); J. D. DU BOIS, «Valentin, Ecole valentiniennne», *Dict. de spiritualité* t. 16 (Paris, 1994), col 146-156 (cite DS 16); M. TARDIEU et J.-D. DUBOIS, *Introduction à la littérature gnostique*, t. I, Paris 1986. J. RIES. *Les recherches sur le Gnosticisme*, *Dict. Des Religions A-K* (Paris, 1993) p. 769-776.

DS 16, col 146. (٦)

الذي يقوم بدورٍ مميّز. هذا الباربي^(٧)، يجهل أو يتجاهل وجود الإله المتعالي والصالح، الذي هو ينبوع العالم الروحي، ويعمل كي تجهله البشرية. ونفوس البشر التي تمتلك المعرفة^(٨) صدرت عن هذا الإله السامي. جوهرها روحي، ولكنها صارت سجيّة العالم المحسوس^(٩). لهذا أرسل الإله المتعالي المخلص، المسيح، لكي يخلص هذه النفوس المختارة، ويميدها من جديد إلى الملء^(١٠)، أي إلى العالم الروحي. وهكذا يتبع الخلاص من «المعرفة» التي ليست نتيجة مشاركة بين نعمة الله وحرية الإنسان، بل وعي باطني للخلاص، ومعرفة مسبقة لنتيجة الصراع بين قوى تتجاوز الإنسان^(١١).

لا نستطيع أن نتكلّم على غنوصيّة واحدة، فهناك غنوصيّات. أمّا نحن فنذكر رئيس مدرسة أقام في رومة، وكان له تلاميذ عديدون. هو ولتطيس. يبدو أنّه جاء من مصر، من الدلتا، وطلب الأسقفية في رومة بعد أن اشتهر بعلمه وفصاحته. ولما عُثِرَ غيرُه، قطع كلّ رباط بالكنيسة. وهكذا بدأت مدرسته، أو بالأحرى مدرستان ارتبطتا باسمه.

فتبّاعه انقسموا إلى تيارين كبيرين، لأنهم اختلفوا في نظرتهم الكرستولوجيّة: المدرسة الفرديّة مع بطليموس ومرقيون^(١٢)

(٧) هكذا نترجم Démurge، الذي لا يخلق من العدم، بل يرقّب المادة الأولى.

(٨) هكذا نترجم Gnosis التي هي معرفة باطنيّة.

(٩) نلاحظ تأثير أفلاطون حيث الجسد هو سجن للنفس بحسب العبارة اليونانيّة المعروفة Soma sema (الجسد قبر).

(١٠) Plérôme كلمة يونانيّة (Plerôma) تعني الملء، وفي المسيحيّة، الملء الإلهي، أي إنّ البليروما الغنوصيّة هي مجمل الكيانات الطوريّة أو الإيونات التي تصدر عن الأب الأزلي وتشكّل معه عالمًا حقيقيًا من التماسق والوحدة والنور، تجاه الظلمة والقسمة وفوضى العالم المحسوس الذي يميّز بالنقص والقصور.

(١١) P. HADOT, Gnosticisme chrétien, Enc. Universalis, t. 8, p. 787. Voir J.M.

SEVRIN, Gnosticisme in *Dictionnaire des Religions*, A-K (Paris, 1993) p. 762-769.

(١٢) HIPPOLYTE, *Philosophy des Réligions ou Réligions de toutes les hérésies, appels Elenchos*, éd. Wendland, VI, 35 (GCS 26, Leipzig, 1916).

وساكوندوس^(١٣): «إعتبروا أنه كان للمسيح جسد نفساني^(١٤) عند ولادته. أما المدرسة الشرقية، فمثلها تيودوتس ومرقس وكولارياسوس^(١٥). رأوا أن المخلص كان له فقط جسد روحاني^(١٦)».

أما أقدم تلاميذ ولنطينس فكانا ساكوندوس وبطليموس. نعرف بطليموس بشكل مباشر من الرسالة إلى فلورا التي احتفظ بها أيفانيوس في «باناريون» (٣: ٣-٧)، وبشكل غير مباشر في رد إيريناوس على تعليمه. ماذا نكتشف من شخصية بطليموس لدى قراءة الرسالة إلى فلورا؟ نحن أمام فكر واضح ومنهجي، يحاول أن يوزع الصعوبات لتلا يُغفل شيئًا في تحليله، فتوجهه قواعدٌ جلية تقوده إلى اليقين. وبعد أن يقدم براهينه، يُنهي كلامه بالقول إنَّ مدرسته تلقت بشكل متظم التقليد الرسولي. والقاعدة هي الحكم على جميع ما يقال بحسب معيار واحد هو أقوال يسوع وتعليمه. وهو يستعمل هذا المعيار بشكل عقلاني من دون أن يأخذ بعين الاعتبار سلطة الكنيسة.

بدأ بطليموس شخصًا مؤمنًا، وإنسانيًا صوريًا، فقدّم في ما يخصّ الكتاب المقدس، قواعد رصينة. ولكنه فيما بعد أخذ بأقوال ولنطينس حول الإيونات^(١٧). في الواقع، قدّم بطليموس هنا تفسيرًا كتابيًا، وما تحدّث عن أسرار الإيمان. فهو عاد في ما بعد ليقول إنَّ الطبائع وإن لم تكن من جوهر ذاك الذي هو مبدأ الكلّ، الذي هو خالد وصالح، فهي تصدر عنه. هذا الكلام يفتح البابا أمام تعليم حول الإيونات حيث يصدر الواحد عن الآخر، مبتعدًا شيئًا فشيئًا عن المبدأ الكامل^(١٨).

Elenchos VI, 3. (١٣)

Psychykos. (١٤)

Elenchos VI, 39-55; IRENEE, *Adv. Haereses* I, 14, 1. (١٥)

Pneumatikos. (١٦)

(١٧) Eons، في اليونانية Aion. دلّ على الزمن الحاضر (أو العالم الحاضر) كما على العالم الآتي أو الأبدية. أما في الفخرصية، فاللفظ ينطبق على كيانات (entités) سطرية (mythiques) صدرت عن ينبوع أخير، فألفت الملء أو بليروما.

DTC 15, col 2513-2514. (١٨)

منا نصل إلى مرجع مباشر يحدثنا عن بطليموس. إننا نجد في إيريناوس^(١٩) عرضاً لتعليم بطليموس. وهو عرض يتوزع في ثلاثة أقسام متفاوتة. أولاً، الطريقة التي بها يتكوّن ملء الثلاثين إيوناً (ف ١). ثانياً، ما حصل من عمل داخل هذا الإيون (ف ٢-٣). ثالثاً، تسلسل الأحداث التي حصلت خارج الملء كردّة فعل على ما حصل في قلب الملء (ف ٤-٨). نجد في كلّ من هذه الأقسام الثلاثة ذات البنية: الأحداث. ثمّ النصوص الكتابية التي يستند إليها «الهرطقة». فهم إيريناوس أن يتزع القناع عن الهرطقة^(٢٠).

كيف تكوّن الملء؟ في الأصل، هناك «زوج»^(٢١) لا محدود وأزليّ، غير مولود. إنّه اللجة^(٢٢) (أو «أبو كلّ شيء») و«الفكر» (أو «النعمة» أو «الصمت»). من هذا «الزوج» الأوّل يُولد «زوج» ثانٍ: «العقل»^(٢٣) (أو: «الوحيد»)^(٢٤) و«الحقيقة». ومن الثاني يولد ثالث: «الكلمة»^(٢٥) و«الحياة». ومن الثالث، يولد رابع: «الإنسان» و«الكنيسة». وهكذا تتكوّن مجموعة أولى من ثمانية إيونات أو «المثمن»^(٢٦) الذي هو أساس الملء كلّهُ.

وتواصل الإصدارات^(٢٧). يولد من اللوغوس والحياة عشرة إيونات أخرى^(٢٨): ومن الإنسان والكنيسة اثنا عشر إيوناً^(٢٩). ومن المثمن

IRENEE de LYON, *Contre le Hérésies* I, 1-8, SC 264 (Paris, 1979) p. 28- (١٩)

(٢٠) Elenchos: برهان وردّ.

(٢١) Couple. أي: اثنان.

(٢٢) Abyssos Abîme: ما لا نستطيع أن نصل إلى قعره.

(٢٣) Intellect: انهم وتكوين المعاني.

(٢٤) Monogenes: الابن الوحيد.

(٢٥) Logos.

(٢٦) Ogdoads: المؤلف من ثمانية أركان.

(٢٧) Emission.

(٢٨) Décade: المعشر: المؤلف من عشرة أركان.

(٢٩) Dodécade: الاثنا عشر: المؤلف من اثني عشر ركناً.

والمعشر والاثني معشر، يتكوّن الملء الإلهي أو العالم الروحي في تناسفه التام. ويُسند هؤلاء كلامهم إلى (لو ٣: ٢٣) الذي يتحدث عن يسوع حين بدأ حياته العلنية وهو ابن ثلاثين سنة، وإلى (مت ٢٠: ١-٧) مع عدد العمال الذاهبين إلى الكرم^(٣٠).

في القسم الثاني يحلّ الاضطراب بالملء. فيرسل الآب المسيح والروح من أجل إصلاح ما خرب. في القسم الثالث، نتعرف إلى بداية الباري والكون والإنسان ومهمة «المخلص» في العالم^(٣١).

بعد هذا الكلام على الفصوصية، وعلى ولنطيس، وعلى بطليموس صاحب الرسالة إلى فلورا، تقدّم نصّ هذه الرسالة، الذي تقرأه في كتاب إيفانيوس الذي يتحدث عن الهرطقات، ويقدم العلاج إلى المؤمنين^(٣٢).

كانت فلورا مسيحية تهتمّ بأصل الشريعة. تقدّم بطليموس تفسيره منطلقاً من التعليم المسيحي، ويميز في الشريعة ثلاثة أقسام: ما يأتي من الله. ما يأتي من موسى. وما يأتي من شيوخ الشعب. فما يأتي من الله، يقسم ثلاثة أجزاء (أو مقولات): الجزء النقي^(٣٣) (الوصايا العشر) الذي أكمله المخلص (مت ٥: ١٧). الجزء الممزوج بالشرّ والجور (شريعة المثل، سنّ بسنّ) الذي ألغاه المخلص (نقائض متى ٥، قيل لكم... أنا

$$(٣٠) = ١ + ٢ + ٦ + ٩ + ١١ = ٣٠.$$

IRENEE de LYON, *Contre les Hérésies*, SC 263 (Paris, 1979) p. 116-130. (٣١)

EPIPHANE de Salamine, *Panarion ou Boite à remèdes*. Migne Grec 41-42; (٣٢)

F. OEHLER, *Corpus Haeresiologicum* T. 2-3; Berlin, 1859-1861; K. HOLL,

GCS 25 (1915) 153-464 (Panarion Haer. 1-33). voir J. QUASIEN, *Initiation*

aux Pères de l'Eglise, t. 3 (Paris, 1963) p. 545-546.

نشير إلى أنّ هذا الكتاب احتوى أوسع درس حول الهرطقات في العالم القديم.

إستقى من يوستينوس وإيريناوس وهيبوليتس. النصّ الذي يرد هنا، تقرأه في (٣٣: ٢٢)

(٧-٢). لهذا، بدأ ترقيم النصّ المترجم مع الرقم ٢.

Voir PTOLEMEE. *Lettre à Flora*, texte, traduction et introd. de G. Quispel,

Paris (SC 24) 1949.

(٣٣) Katharos: الصرف، الخالص، الذي لا يمتزج به شيء.

أنا فأقول لكم). الجزء المنطقي والرمزي (الفرائض حول الذبائح والطقوس). يجب أن يُفسَّر تفسيراً روحياً. والسؤال الذي طُرِح في البداية حول أصل الشريعة، يجد جوابه في نهاية النص: جاءت الشريعة من الإله المشرع، من الباري^(٣٤)، لا من الإله المتعالي^(٣٥)، ولا من الخصم^(٣٦). مثل هذا التفسير يستند إلى استعمال التقليد الرسولي استعمالاً خاصاً^(٣٧)، نجده مثلاً في موشيات إكلمنطوس الإسكندراني^(٣٨).

٢ - نصّ الرسالة إلى فلورا

٣ (١) أن لا تكون الشريعة التي أعلنها موسى، يا أختي^(٣٩) الصالحة فلورا^(٤٠)، غير مفهومة حتى الآن لدى الكثيرين، لأنهم لم يثلقوا معرفة دقيقة للمشرع الحقيقي ولا لوصاياه، هذا ما يتضح لك، على ما أظنّ، حين تعرفين الأواء المتضاربة حولها. (٢) ظنّ بعضهم^(٤١) أنّ هذه الشريعة قد أعطاها الله الآب نفسه. وأكد آخرون^(٤٢) في اتجاه يتعارض كلّ المعارضة، أنّها صدرت عن الخصم، عن إبليس

Demiourgos. (٣٤)

Transcendant. (٣٥)

Adversaire. (٣٦)

DS 16, col 149. (٣٧)

CLEMENT, *Stromates VII*, 17, 106, 4. (٣٨)

(٣٩) فلورا أخت لآنها من أسرته الروحية.

(٤٠) أهمل إيفانيوس ما يتعلق بفلورا. لهذا نجعل هوية هذه السيدة ومركز إقامتها. إعتاد الفنوصيون أن يوجهوا كلامهم إلى نساء، لأنهنّ يتّبعن نظرياتهم بشكل يفرّق على مرقس الرجال. رج باناريون (علبة الأدوية أو الهرطقة) (١٢/٩ : ١).

(٤١) المسيحيون.

(٤٢) جماعة مرقيون. ولكن بطليموس يخطئ في الكلام عليه: يهوه هو المشرع وهو يتّبع عن إبليس. رج ترتليانوس، ضدّ مرقيون (١ : ٢)؛ إيريناوس، ضدّ الهرطقة (١٢ : ١٢). إلا إذا كان الكاتب يلمح إلى جماعة كريبو كراتوس، التي كانت بدعة صغيرة تعتبر أنّ إبليس هو خالق العالم إيريناوس، ضدّ الهرطقة (١ : ٢٥ : ٤).

المفسد. واعتبروا أيضًا أنه باري^(٤٣) الكون، فقالوا إنه أبو^(٤٤) كل شيء وصانعه. (٣) فهؤلاء وأولئك هم في ضلال ميين. وتعارض الأولين يرذ على تعارض الآخرين والعكس بالعكس. فما نجحت فئة واحدة أن تُدرك حقيقة الموضوع. (٤) فمن الواضح أن الشريعة (التي هي ثانوية)^(٤٥) لم يعطها الإله الكامل الذي هو الآب، لأنها ناقصة وتحتاج أن يكملها آخر، وأنها تتضمن وصايا لا يمكن أن تتوافق مع طبيعة مثل هذا الإله وفكره. (٥) مقابل هذا، لا يحق لنا أن نسب الشريعة إلى خصم جانر^(٤٦). لأنها تعارض الجور. هذا كلام أناس لا يرون النتيجة الضرورية التي نستخلصها من أقوال المخلص. فقد أعلن مخلصنا: «كل بيت أو مدينة تنقسم على نفسها تخرب». (٦) ثم إن الرسول^(٤٧) سبق فدمر الحكمة المتقلبة لدى هؤلاء الكذبة، فأعلن أن خلق الكون خاص به، وأن كل شيء كان به، وأنه ما كان شيء بدونه، وأن هذا الخلق هو عمل إله عادل يكره الشر، لا عمل إله مُفسد. مثل هذه النظرات لا تشارك فيها عقول محدودة نسيت عناية^(٤٨) الخالق فبدت عميًا. لا على مستوى النفس وحسب، بل على مستوى الجسد^(٤٩) لهذه الكلمة. (٧) إن لم يشع

- (٤٣) Demiourgos. رج إكلمنضوس الإسكندراني الموشيات (٣/٣: ١٢).
- (٤٤) رج أنلاطون Timée 28c. إعتادت جماعة ولنطيس أن تستعمل اسم الآب للكلام على إله الأسمى أو العقل Nous. ومع ذلك، فالتعليم الباطني يعتبر يهوه «أب» الطبيعة في أسمى ما فيها. إيرينارس، ضد الهرطقة (١/٥: ١).
- (٤٥) Hepomenos. في ذلك العصر. تشير هنا إلى مطرة ولنطيس (حول خلق العالم) التي عرفت ثلاثة كائنات. ذاك هو معنى اللفظ في اللغة الأفلاطونية. الحكمة (Sophia) تتج المائة التي لا شكل لها. المسيح يجسد المثل، ويظهر للحكمة في مقامها، ويعطي شكلًا لكيانها. ويهوه الذي يرتب المائة ويسود الكون.
- (٤٦) Adiktos لا يعرف البر، بل يتعامل مع الشر. بما أن الشريعة تمنعنا من الشر، فلا يمكن أن تصدر عن الشرير. رج الموشيات (٣/٣٥: ٣).
- (٤٧) أي يوحنا. رج (يو ١: ٣): به كان كل شيء.
- (٤٨) نحن هنا أمام فكر الروايتين الذين يعتبرون أن البشر يقدرون أن يروا حمل العناية الإلهية.
- (٤٩) أي: لا تي المعنى الرمزي وحسب، بل في المعنى الحرفي أيضًا.

هؤلاء إلى أن يكتشفوا الحقيقة، فواضح ممّا سبق: لقد فشل ممثلو
 هاتين الفتيّن، كلّ بطريقته: الأوّلون، لأنّهم لم يعرفوا إله البرّ.
 والآخرون لأنّهم جهلوا^(٥٠) أبا كلّ شيء، الذي كشفه ذلك الذي جاء
 فعرفه (= الآب) وحده^(٥١). (٨) وهكذا يبقى لنا، نحن الذين
 نعمنا^(٥٢) بمعرفة مضاعفة، أن نعرض عرضاً دقيقاً أصل الشريعة
 وطبيعة المشتري. ونستخرج براهين كلامنا من أقوال مخلصنا، التي
 تقدر وحدها^(٥٣) أن تقودنا^(٥٤)، بلا عثار، إلى فهم الحقيقة.

٤ (١) يجب أن نعرف أولاً، أنّ هذه الشريعة تتضمّن أسفار^(٥٥) موسى
 الخمسة، التي لم يعلنها كلّها كاتب واحد: لم يعلنها الله وحده.
 فهي تتضمّن وصايا من أصل بشري^(٥٦). فأقوال الربّ تعلّمنا أنّ
 الشريعة تنقسم ثلاثة أقسام. (٢) يُنسب القسم الأوّل إلى الله ذاته
 وإلى نشاطه التشريعي. والثاني، إلى موسى، لا في ما ألهمه الله
 ذاته، بل في ما دفعته اعتبارات شخصيّة، فأضاف بعض الوصايا.
 ويُنسب الثالث إلى شيوخ الشعب الذين أدخلوا، على ما يبدو، منذ

(٥٠) لم يجهل مرقيون إله البرّ، بل جهل قيمة برّه. رج ترتليانس، ضدّ مرقيون (١/١٢)؛
 ٢: ١١). ليس يهوه بشريّ، ولكن برّه قريب من الشّرّ.

(٥١) إنّ الله لا يكشف نفسه إلا في المسيح. تلك هي نظرة جماعة مرقيون ولنطيس. رج
 ترتليانس، ضدّ مرقيون (١: ١٩)، إكلتضوس، الموشيات (٢: ١١٤).

(٥٢) معرفة الحقيقة نعمة نالها الفنوصيون، فثّبتوا بالكبرياء الروحيّة، لأنّهم اعتبروا أنّهم
 وحدهم نالوا هذه النعمة. رج ترتليانس، ضدّ ولنطيس ٢٩. هنا يختلف ولنطيس
 عن بطليموس. اعتبر الأوّل أنّه نال رؤى شخصيّة كشفت له الحقائق. أمّا بطليموس
 فنكلم على تلرّج في تعليم سريّ.

(٥٣) تعليم المسيح هو المعيار لصحة أقوال العهد القديم ولعدم صحتها. عظات
 إكلتضوس المزعومة (٣: ٥٠) (أوساط فلسطين المسيحيّة).

(٥٤) Hodégeisthai: يسوع هو من يوجّهنا في الطريق (Hodos). رج (يو ١٤: ٦).

(٥٥) في اليونانيّة Pentateuchos أو الأدرج (اللقائف) الخمسة.

(٥٦) اعتبرت جماعة ولنطيس أنّ البشر أضافوا بعض الأمور إلى أسفار العهد القديم، كما
 إلى أسفار العهد الجديد. رج إيرينوس ضدّ الهرطقة (٢/٣: ٢). فمن يميّز الحقيقة
 في نقانها؟ أولئك الذين نالوا العرقة gnosis gnose في اليونانيّة.

البلد، بعض الفرائض في الشريعة نفسها. (٣) كيف نبرهن عن حقيقة هذه النظرة انطلاقاً من أقوال المخلص؟ هذا ما ستعلمونه الآن. (٤) في الجدل حول الطلاق الذي سمحت به الشريعة، أعلن المخلص لخصومه: «بسبب قساوتكم سمح لكم موسى بأن تطلقوا نساءكم. في البلد، لم يكن الأمر هكذا. فقد كُتب: وخذ الله هذين الزوجين، وما وخذ الرب (قال)، لا يحق للإنسان أن يفعله»^(٥٧). (٥) بهذا يبين أن هناك شريعة الله التي تمنع فصل المرأة عن زوجها، وشريعة أخرى، شريعة موسى، التي تسمح بفسخ الاتحاد الزوجي، بالنظر إلى قساوة القلوب. (٦) من هذا القيل، أعطى موسى وصية تعارض وصية الله. فإن «الفصل» يعارض^(٥٨) «اللافصل». وإن استعلمنا عن الفكرة التي ألهمت هذه الوصية، يبدو أن موسى لم يفعل ما فعل من عنده، بل أكرهه ضعف البشر الذين توجهت إليهم الشريعة. (٧) ما استطاع البشر أن يتمسكوا بمشيئة الله التي تمنعهم من طلاق نساءهم، مع أن بعضهم كره السكن معهن، فراحوا من سنى إلى أسوأ بحيث صاروا إلى الدمار. (٨) عندئذ أراد موسى أن يداوي هذه المتاعب التي تهدد مصير البشر، فاختار في هذه الظروف أهون الشرين، وأعلن من أجلهم، وبمبادرة منه، شريعة ثانية تتيح لهم الطلاق. وهكذا إن كانوا لا يستطيعون أن يحفظوا الشريعة الأولى، فليراعوا الثانية على الأقل، ولا يلجأوا إلى وسائل جائرة وشريرة يتبع منها ملء دمارهم^(٥٩) الخلقى. (١٠)

(٥٧) نص (متى ١٩ : ٤)، ولكنه لم يرد في حريته.

(٥٨) رفض التعليم القويم القول بوجود تعارض في الكتاب المقدس. رج يوستينوس، الحوار مع تريفون ٦٥.

(٥٩) لكل إنسان مصير خاص به، يختلف فيه عن الآخرين. هناك «الروحانيون» Pneumatikoi، هم مختارون، وقد نالوا نعمة خاصة. مصيرهم أن يكونوا في «بليروما» (الملء) Piêrôma. والهوليتيون (hylikoi) ينهبون إلى الهلاك. والنفسيون (psychikoi) الذين قد يهلكون لأنهم يمتلكون إرادة حرّة. اليهود =

تلك كانت الفكرة^(٦٠) التي ألهمت هذه الفرائض المعارضة لفرائض الله. فلا جدال في أننا برهنا أن هذه الشريعة صدرت عن موسى، وهي تختلف عن شريعة الله، ولو أن برهانا استند فقط إلى مثل واحد. (١١) وأن تكون امتزجت^(٦١) بالشريعة تقاليدُ تصدر عن شيوخ الشعب، أمر بيته المخلص أيضاً. قال: «فأله أوصى: أكرم أباك وأمك لكي تنجح». (١٢) وأضاف متوجّهاً إلى شيوخ الشعب: «أما أنتم»، فأعلمتم: «العون الذي كان بالإمكان أن تتقبلوه مني هو قربان لله». وهكذا ألغيتم شريعة الله وأخذتم بتقليد خاص بكم، يا شيوخ الشعب! (١٣) فقد أعلن أشعيا من قبل: «هذا الشعب يكرمني بشفتيه، أما قلبه فبعيد عني! فهم باطلاً يكرموني، لأنهم يعلمون فرائض هي وصايا بشر»^(٦٢). . . (١٤) يتضح من كل هذا أن الشريعة بمجملها تتألف من ثلاثة أقسام: فرائض موسى، فرائض شيوخ الشعب، فرائض الله ذاته. وقسمة الشريعة هذه في مجملها، كما ثبتناها، أوضحت العنصر الصريح الذي يتضمّن الشريعة.

(٥) (١) وهذا القسم الأخير، الذي هو شريعة الله ذاته، يُقسم بدوره إلى ثلاثة^(٦٣): التشريع التقوي الذي لم يمتزج بالشر؛ الشريعة، في المعنى الخاص بالكلمة، التي لم يأت المخلص لكي يلغيها، بل ليكملها (فتلك التي أكملها لم تكن غريبة عنه، بل احتاجت إلى أن

=الذين يتحدث عنهم النص، هم من هذه الفئة الثالثة. إذن، الهلاك يتهدّهم (إيريناوس، ضد الهرطقة ٤/١٥: ٢).

(٦٠) Gnomè، البتة.

(٦١) جاءت أمور من لندن وليس. هنا ما تجده في كرازة بطرس، التي نجدتها في العظات الإقليبية المزمومة (٣: ٢٨). يبدو، بحسب إيفانوس، أن الكاتب يشير إلى المشاة التي تجمع أولى التقاليد الشفهية لدى اليهود. رج بولس الفغالي، «التلمود وأدب المعلمين»، المشرق ٧٤، الجزء الثاني، (تقرز - كانون الأول، ٢٠٠٠) ص ٤٨٨-٤٩٠.

(٦٢) (متى ١٥: ٥). أورد متى (أش ٢٩: ١٣).

(٦٣) الشريعة التقوية، الشريعة الرمزية، الشريعة اللبينة. رج يوستينوس، الحوار مع تريفون

. ٤٤

تكمّل لأنها لم تكن كاملة)؛ ثمّ الجزء الذي امتزج بالشرّ والجور، الذي ألغاه المخلّص لأنّه لا يتوافق مع طبيعته. (٢) وأخيرًا، نحدّد جزءًا منطقيًا ورمزيًا يتوخّى تمثيل الروحي والمتعالي، وقد نقله المخلّص من الحسّي والظاهر إلى الروحي واللامنتور. (٣) أمّا شريعة الله النقيّة والمترهّنة عن كلّ مزيج دنيء، فهي الدكالوغ^(٦٤)، تلك الوصايا العشر التي حُفرت على لوحين، فحرّمت ما يجب أن لا نعمله وأمرت بما يجب أن نعمله. هي وصايا نقيّة، ولكنها غير كاملة بعد أن احتاجت أن يكملها المخلّص - (٤) وبجانب شريعة الله، هناك شريعة يرافقها الجور، شريعة المثل^(٦٥) والعقاب على جريمة اقترفت. شريعة تأمر بأن نطلع العين بالعين، ونحطّم السنّ بالسنّ، ونردّ على القتل بالقتل. فمن اقترف جورًا، ردّا على جور، هو خاطئ، شأنه شأن الذي بادر واقترب الجور: سيختلف ترتيب صانع الشرّ، ولكنّ الشرّ هو هو. (٥) ولا بدّ من القول بأنّ هذه الوصية كانت بارّة، وما زالت، فقد أعطيت بسبب ضعف الذين توجّهت إليهم الشريعة لكي يتجنّبوا تجاوز الشريعة النقيّة. ومع ذلك، فلا نستطيع أن نوافق هذه الوصية مع صلاح أبي الكلّ. (٦) لا شكّ في أنّ هذا كان نتيجة تكيف مع الظروف، بل بالأحرى ضرورة لا بدّ منها. فالذي أراد أن يمنع قتلاً واحداً فأعلن: «لا تقتل». ثمّ أمر بأن يُقتل القاتل بدوره، أعطى شريعة ثانية، فصار في مبدأ قتلين، وهو الذي حرّم قتلاً واحداً. وهكذا اتّضح أنّه كان ضحية الضرورة من دون أن يعلم. (٧) لهذا، حين جاء ابنه^(٦٦)، ألغى هذا الجزء من الشريعة، مع أنّه أقرّ أنّه صلبر هو أيضًا عن الله. واعترافه بالمعهد القديم، يظهر في ما يظهر، في ما يلي: «أعلن الله: من لعن

(٦٤) Dekalogos: الكلمات العشر.

(٦٥) مثلما تعاملني أحاملك. أو سنّ بسنّ، وعين بعين. يرى مرقيون معارضة مطلقة بين

شريعة المثل وفراتس عظة الجبل (متّى ٥-٧).

(٦٦) إنّ الابن الذي جاء من يهو هو المسيح الضائع الذي يبحر عن الفادي.

أباه أو أمه، يُقتل قتلاً^(٦٧). (٨) وأخيراً، هناك الجزء الرمزي، الذي يُجعل على صورة الروحانيات والمتعاليات، أي الفرائض المتعلقة بالذبايح والختان والسبت والصوم وحمل الفصح والخبز الفطير... (٩) كل هذه الطقوس التي هي صور ورموز، حملت مدلولاً مختلفاً بعد أن كُشفت الحقيقة. هي الغيت في شكلها الخارجي وتطبيقها الحرفي، ولكنها تعمقت في معناها الروحي وفي مدلولها، لأن الألفاظ القديمة تلقت مضموناً جديداً. (١٠) أمرنا^(٦٨) المخلص أن نقدم ذبايح، لا ذبايح حيوانات غير عاقلة، ولا تقدمات بخور، بل مدائح وتسايح وأفعال شكر روحية، والمقاسمة مع القريب والإحسان إليه. (١١) وطلب منا أيضاً الختان^(٦٩)، لا ختان غلفة الجسد، بل ختان القلب الروحي. (١٢) وأن نحفظ السبت^(٧٠)، لأنه يريدنا أن نرتاح من أعمال الشر. (١٣) وأن نصوم أيضاً. إلا أنه لا يطلب منا صوم الجسد، بل الصوم الروحي الذي يقوم بالامتناع عن كل شر. ومع ذلك، نظل نحن متعلقين بالصوم الخارجي، لأن حياة النفس تستفيد منه، حين نمارسه بتمييز، لا لنتقدي بالآخرين، أو على سبيل العادة، أو لأن يوماً من الأيام حُدد لذلك. (١٤) وفي الوقت عينه، تبقى متعلقين بالصوم لكي نتذكر الصوم الحقيقي^(٧١)، بحيث يتذكره في صوم خارجي، أولئك الذين لا يستطيعون أن يمارسوه. (١٥) وأن حمل الفصح والخبز الفطير كإنا رمزين. هذا ما يته أيضاً بولس الرسول حين قال: «حمل فصحنا، المسيح، دُبح». وقال: «لكي تكونوا بلا خمير، لا تشاركوا في الخمير (هذا الخمير يعني الشر)، بل كونوا

(٦٧) متى (١٥ : ٤)؛ رج (خر ٢١ : ١٧).

(٦٨) هذا ما لا نجد في الأناجيل. تقرأ عن النيحة الروحية في العهد القديم (مز ٤٩ : ١٤).

(٦٩) (إر ٤ : ٤). رج (روم ٢ : ٢٨-٢٩).

(٧٠) متى (١٢ : ١٢) رج الموشيات (١ : ١٣)؛ الحوار مع تريفون (١٢ : ٣).

(٧١) (أش ٥٨ : ٦) : «الصوم الذي أفضله: حل قبود الشر، فك ربط النير».

عجيبًا جديدًا» (٧٢).

٦ (١) إذن، قسمُ الشريعة الذي هو بلا شك من الله، يُقسم ثلاثة أجزاء: جزء كَمَله المخلص. فالوصايا «لا تقتل، لا تزني، لا تشهد شهادة زور» تُفهم في منع الغضب والشهوة وكلام يرافقه الحلف. (٢) وجزء آخر ألغى كله. فالوصية «سنّ بمنن، وعين بعين» التي يرافقها الجور لأنّ عملًا شريرًا يتبعها، أحلّ محلّها المخلص وصية مغايرة. فالنقيضة المطلقة تلغي النقيضة المطلقة. (٣) «أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرير مقاومة. فإن ضريك على خدك الأيمن، فقلّم له الآخر». (٤) وأخيرًا، هناك جزء من الشريعة، انتقل وتحوّل من المعنى الحرفي إلى المعنى الروحي: هو الجزء الرمزيّ التي أعطي كصورة عن المتعاليات. (٥) فالصور والرموز التي كانت تحلّ شيئًا آخر، ظلّت مقبولة، في وقت لم تظهر فيه الحقيقة. والآن، وبعد أن كُشفت الحقيقة، ينبغي أن نعمل أعمال الحقيقة، لا أعمال الصورة» (٧٣). (٦) تكلم تلاميذ يسوع على الأجزاء الثلاثة هذه؛ كما تكلم بولس الرسول: تكلموا على الجزء الرمزيّ، كما قلنا حين تحدّثنا عن حمل الفصح الذي ذُبح لأجلنا، وعن الخبز الفطير. وتكلموا على الجزء الذي يرافقه الجور حين قلنا إنّ شريعة الوصايا صارت بلا جدوى، بسبب تعليم جديد. وتكلموا على جزء الشريعة الذي خلّص من كلّ جور، حين قالوا: «الشريعة مقدّسة، والوصية مقدّمة وعادلة وصالحة».

٧ (١) بقدر ما سمح لي المدى، أظنّ أنّي بيّنت نياتنا كافيًا، الفرائض البشرية في الشريعة، وقسمة شريعة الله ذاته إلى ثلاثة أجزاء. (٢)

(٧٢) (١ كور ٧: ٥). نلاحظ أنّ هرقلون النوصي، مفسر إنجيل يوحنا، قدّم شرحًا استماريًا عن حمل الفصح، في الجزء ١٢؛ رج ترتليانوس، ضدّ اليهود ١٤.
(٧٣) قال ولنتيس: الصورة أدنى من الحقيقة. رج إكلمنطوس، الموشيات (٤/٨٩):
٦. وريط إيريناوس الصور بالحكمة (سوفيا). رج ضدّ الهرطقة (١/٥: ١).

يبقى علينا أن نقول: مَنْ هو هذا الإله الذي أعطى الشريعة؟ غير أنني أعتقد أنّ هذه النقطة توضح لكم ممّا سبق، إذا كنتم أعرتموني انتباهكم. (٣) فإن لم يكن الإله الكامل ذاته أعطى الشريعة، كما سبق وقلنا، وإن لم يكن إبليس، وهذا أمر أكيد (بل لا يحقّ لنا أن نقول مثل هذا القول)، فهذا المشتري هو ثالث رُجد بجانب هذين الاثنين الآخرين. (٤) هو الباري^(٧٤) وخالق^(٧٥) هذا الكون وكلّ ما يتضمّنه. بما أنّه، في جوهره، يختلف عن الاثنين الآخرين، ويقف بينهما، نستطيع بحقّ أن ندعوه الوسيط^(٧٦). (٥) إذا كان الله الكامل صالحًا في جوهره، وهو كذلك (لأنّ مخلصنا قال إنّ هناك إلهًا واحدًا صالحًا^(٧٧) هو أبوه الذي أخبر عنه)، وإذا كان الكائن الذي هو خصم في طبيعته، هو شرّير وموصوف بالجور، فذاك الذي يقف بين الله الكامل وإبليس، والذي ليس صالحًا، ولا شرّيرًا أو جائرًا، يمكن أن يدعى بارًا لأنّه يحكم^(٧٨) في البرّ الذي يرتبط به. (٦) من جهة، يكون هذا الإله أدنى من الإله الكامل، وتحت برّ هذا الإله، لأنّه مولود، لا غير مولود (فهناك واحد غير مولود هو الآب، الذي عنه يصدر كلّ شيء، لأنّ كلّ شيء يرتبط به بطريقته). ومن جهة ثانية، يكون فوق الخصم وأسمى منه. وهكذا يكون، في طبيعته، من جوهر آخر ومن طبيعة أخرى، غير جوهر هذين الآخرين. (٧) جوهر الخصم هو فساد وظلام (لأنّه مادّي ومنقسم بالفساد). أما الآب الذي هو لا مولود، أمّا أبو الكلّ، فجوهره لا فساد وتور

(٧٤) Demiourgos: ذاك الذي ربّ المادّة.

(٧٥) Poiétés: ذاك الذي صنع الكون.

(٧٦) Misotés، رج (١ تم ٢: ٥)؛ (عب ٨: ٦؛ ٩: ١٥). نلاحظ أنّ الغنوصيين

يأخذون كلمات العهد الجديد (المخلص، القادي) ويعطونها معنى آخر. فالوسيط

في المسيحية هو إله وإنسان. ولكنّه ليس كذلك في الغنوصية.

(٧٧) متى (١٩: ١٧): لا صالح إلّا الله (كلام إلى الرجل الغنيّ الذي دعا يسوع المعلّم

الصالح).

(٧٨) هو اللّيتان. يجازي الخير ومعايب الشرّ. رج ترتليانس، ضدّ مرقيون (٢: ١٣).

ذاتي ومتماusk. أما الباري فهو جوهر الله السامي، وإن أوجد قوة هي قوة مضاعفة. (٨) والآن، لا تحتاجون أن تعلقوا من أن تعرفوا كيف يمكن أن تتكوّن هاتان الطبيعتان الأخريان^(٧٩) من مبدأ كل شيء، الذي نعترف به ونؤمن، من مبدأ هو لا مولود، ولا فاسد، وصالح: طبيعة الفساد وطبيعة الوسيط، اللتان هما من جوهر مختلف مع أنّ طبيعة الخير تقوم بإيلاد وإنتاج كائنات تشبه وتكون من جوهره. (٩) فإن سمح الله بذلك، ستالون في ما بعد إيضاحات أدقّ حول مبدأهما وولادتهما، حين تُضحون أهلاً لأن تعرفوا تقليد الرسل، وهو تقليد تسلّمناه نحن أيضاً عن طريق التسلسل. وفي هذه الحالة أيضاً نُثبت نظراتنا مستدين إلى أقوال المخلص. (١٠) لم أمل من أن أقول لك هذا بإيجاز، يا أختي فلورا. فمع أنّي كنتُ موجزًا في ما سبق، إلا أنّي عالجت الموضوع معالجة حاسمة. إنّ هذه الملاحظات تستطيع، عندما يحين الوقت، أن تساعدك كثيرًا: فيعد أن تتقبلي، كما في أرض طبيّة وصالحة ثمار خصب، تُبرزين الثمار التي خرجت منها.

٣ - ملاحظات على الرسالة

هذه الرسالة التي تبدو وثيقة مهمّة في العالم الغنوصي، عالجت الشريعة اليهودية في نظر الديانة المسيحية. أقلّه كما نظر إليها التيارات الفلسفيّة والروحيّة هذا، الذي عبّر عنه بطليموس. وها نحن تقدّم في هذا المجال ثلاث ملاحظات.

أ - طابع هذه الرسالة

قلنا إنّ بطليموس كان من مدرسة ولطينس في خطّها الغربي. أقام في رومة، وقد يكون هناك عرف فلورا التي كانت إحدى سامعاته اللواتي كان الغنوصيون يفضّلون التحدّث إليهنّ، ويفضّلونهنّ على الرجال. فلورا

(٧٩) سؤال مقلق حول أصل الشر. رج إيفانيوس، باناريون (٦/٢٤ : ١).

امرأة مسيحيةً بدليل معرفتها للكتاب المقدس، وقبول الشرح الذي يقدمه بطليموس. وقد رغبت في أن تسمع شيئاً حول الشريعة التي هاجمها مرقيون^(٨٠) ودافع عنها يوستينوس^(٨١).

كان باستطاعة بطليموس أن يقدم جواباً سريعاً فيقول: الشريعة (ومثلها العهد القديم) نفسانية (بسيخيكوس)، شأنها شأن إله اليهود. وكثر ما هو نفسيّ هو رمز عن العالم الروحيّ (بضماتيكوس). ولكن اللافت هو أنّ لفظ «بسيخيكوس» الذي يميّز لغة ولنطينس، لا يرد في هذه الرسالة. فالكاتب يفضل استعمال ألفاظٍ خلقيةٍ قريبة من مفهوم تلك التي يكتب إليها. ذلك كان نهج الحلقات النولنطينية، على ما يقول ترتليانوس: «لا يسلّمون تعليمهم، حتّى لتلاميذهم، قبل أن يربحوهم كلياً. فلا يخلو نهجهم من براعة: هم يقتنعون قبل أن يعلموا»^(٨٢). من أجل هذا، فالرسالة إلى فلورا ليست وثيقة غنوصية في المعنى الحرفي للكلمة، بل مقدّمة إلى الغنوصية.

تبدأ هذه الرسالة فتحدّد موقف الكنيسة وموقف مرقيون.

نسب المسيحيّون الشريعة إلى الله، والكريوكراتيون^(٨٣) إلى إبليس^(٨٤). إعتبر بطليموس أنّ الكنيسة أخطأت حين قالت إنّ الله الكامل هو الذي أعطاها، مع أنّها ناقصة. نحن هنا أمام اعتراض أساسي في خطّ النظرة إلى العهد القديم من الوجهة الغنوصية. أمّا مرقيون وتلاميذه، فشجّبههم بطليموس بقساوة، لأنهم ينسبون الشريعة إلى إبليس. فيبهو الذي خلق الكون وأعطى الشريعة، هو إله شرير، كما يقول مرقيون.

(٨٠) بولس القنالي، «مرقيون والتعامل مع الكتاب المقدس»، المصرة ٨٦ (٢٠٠٠)، ص ٤٠٨-٣٨٥.

(٨١) كتاب ضاع *Syntagma ou Traité contre toutes les hérésies*. ولكن ذكره يوستينوس في دفاعه الأوّل (٥ : ٢٦) وأوسابيوس القيصريّ في التاريخ الكنسيّ (٤ / ١١ : ١٦).

(٨٢) ضدّ ولنطينس ٢١، SC 260, p. 127.

(٨٣) Carpocratians جماعة كريوكراتوس، ابن الإسكندرية.

(٨٤) إيريناوس، ضدّ الهرطقة (١ / ٢٥ : ٤). SC 264, p. 338-341.

شوه بطليموس بعض الشيء فكر مرقيون^(٨٥). غير أنه أعلن في ما بعد أن
الباري الذي أعطى الشريعة ليس صالحًا ولا شريرًا، بل هو عادل. هذا
يعني أنه لم يكن بعيدًا عن موقف مرقيون وإن ضخم هذا الموقف.

هنا ما يتيح لبطليموس أن يقدم برهانا يقول: لا يمكن أن تكون
الشريعة شريرة، لأنها تمنع الأعمال الشريرة^(٨٦). كما يتيح له أن يطبق
فكرة مسبقة على وضع تاريخي محدد. إقتنع كاتب الرسالة أن الشريعة لم
يعطها إله كامل، ولم يكن إبليس ولا الهيولى في أصلها^(٨٧). وهكذا ابتعد
عن الكنيسة كما ابتعد عن المرقيونية.

أخطأت الكنيسة لأنها لا تعرف الإله المتعالي. وأخطأ المرقيون
لأنهم لا يعرفون يهوه. ومع ذلك، فإن بطليموس لا يبدو بعيدًا جدًا عن
مرقيون. كلاهما شدنا على تعالي الله في تعارضه مع «العالم»، وقالوا إن
المخلص هو الذي حمل هذا الوحي. وكلاهما اعتبر يهوه إلهًا وثنيًا، لأنه
الخالق والمشرع الذي لا صلاح فيه: يهوه تجسيم خارجي للعالم
الملموس. ولكن بطليموس ابتعد بعض الشيء عن مرقيون حين اعتبر أن
يهوه اهتدى إلى المسيح وقام بحماية الكنيسة^(٨٨). أترأه حاول الاقتراب
من التعليم الكنسي؟ ربما.

ب - طريقة التفسير

يعتبر بطليموس أنه يستطيع أن يفسر شريعة موسى، لأنه نال

(٨٥) تشير هنا إلى أن بطليموس شوه فكر مرقيون: هو لم ينكر يهوه، بل يجعله خفيًا
يطلب الانتقام ويفعل الشر. رج ثوليتاس، ضد مرقيون (٢: ١١). رج SC 368, p.
78-85. مكنا بشر إيريناوس (ضد الهرطقة ٣/١٣: ١٢) وهيليتوس (*Elenchos*
VI, 29) نظرة مرقيون، فاعتبرا أنه يرى في يهوه مبدأ الشر.

(٨٦) رج ما تاله إكلنضوس الإسكلوناتي في الموشيات (٣: ٣٥: ٣)، حين رد على
المهاجمين على العهد القديم: «إن كانت الوصية التي تمنع الأعمال الشريرة،
هي شريرة، فالشر يعطي شرائع تعارض قسه، وهذا مستحيل».

(٨٧) *Hylé* المائة الأولى التي هي شريرة.

(٨٨) إيريناوس، ضد الهرطقة (١: ٧/١). SC 264, p. 103-111.

«العرفة»^(٨٩). أما خصومه فلا يستطيعون لأتهم لا يمتلكون «العرفة». ما هو هذا المبدأ الذي يكفل وحده التفسير الصحيح؟

حين نتحدث عن «العرفة»، نفكر في الوحي والسر. كما نفهم أن العرفة ليست ملكة بشرية، ولا تُولد مع الإنسان، بل هي إلهية. هي موهبة ترتبها ارتباطاً وثيقاً بالروح^(٩٠) المتعالي. لقد ميز اللولتينيون بين «الروح» البشري، الذي أصله سماوي، والذي لا يستطيع بقواه الخاصة أن يعود إلى وطنه السماوي، و«الروح» الإلهي (المسيح وملانكته) الذي كشف «العرفة» للمختار.

لا يتوقف بطليموس مطوّلاً على طبيعة «العرفة»، بل يلاحظ أنّها تتعلق بالإله المجهول والباري. وهو يعلن أنه يستطيع أن يشرح ولادة يهوه وأصل الشيطان، لأنه نال التقليد الرسولي. نحن هنا أمام تقليد سرّي محفوظ حصراً للمتدرّجين، وهو يعود إلى المؤسس. هو رسولي، لأنّ ولتپنس ورثه من تودا، تلميذ بولس^(٩١). بما أنّ هذا التقليد يعالج الكوسمولوجيا (علم الكون) والسقطة الأصلية، فيجب أن نعرف التعليم الماورائي كي نقدر على شرح الشريعة الموسوية.

في هذا الإطار، يعلن بطليموس أنّ الشريعة تتضمن إضافات بشرية^(٩٢). فإنّ موسى كيف فرائضها مع قساوة قلب معاصريه. في الواقع، رفض اللولتينيون تقليد شيوخ بني إسرائيل في القديم، كما رفضوا تقليد الشيوخ في الكنيسة^(٩٣). فهم يمتلكون «العرفة» السرية، التي تُتيح لهم، بعد أن يتدرّجوا، أن يرتفعوا فوق كلّ سلطة، فوق موسى، فوق رسل

.La gnose (٨٩)

.Pneuma (٩٠)

(٩١) إكلمنسوس، الموشيات (٧ : ١٠٦).

(٩٢) قال إيريناوس (ضدّ الهرطقة ١/٣ : ٢) شيئاً مماثلاً: «يهتمّ اللولتينيون بالكتب

المقّمة، لأنّ بعض المقاطع ليست صحيحة، بحيث يستحيل على الذين لا

يعرفون التقليد السري، أن يجدوا الحقيقة في السليبا». SC 211, p. 26-29.

(٩٣) إيريناوس، ضدّ الهرطقة (٢ : ٢/٣).

المسيح. هكذا استطاعوا أن يميّزوا في نبوءات العهد القديم، العناصر الروحانية والمركب الهيولي، والمركب البشري والمركب الإلهي. وطبق بطليموس هذا الكلام على الشريعة. واستند بطليموس إلى التقاليد اليهودية والمسيحية ليقول إنّ الشريعة حول الطلاق ليست من أصل إلهي. وما تقوله عن إضافات جعلها موسى، تقوله بالأحرى عن إضافات وضعها الشيوخ كما هو الأمر في المنشأة^(٩٤) التي دوّنت في القرن الثاني ب.م. وبعد ذلك تدرس الرسالة إلى فلورا، الشريعة الإلهية المؤلفة من ثلاثة أقسام: الشريعة الدنيا، الشريعة الرمزية، الشريعة النقية. أما الشريعة النقية فهي الدكالوغ أو الوصايا العشر. وقد أكملها المخلص، لأنها ليست غريبة عنه. والقسم الثاني من الشريعة هو شريعة الانتقام، ومعاملة من أساء إلينا مثلما عاملنا. غير أنّ هذه الشريعة يرافقها الجور دائمًا، لأنّ من يعمل عملاً سيئاً ليردّ على عمل سبقه، لا يختلف عن الذي بدأ وعمل. والشريعة الثالثة تتوقّف على الاحتفالات الليتورجية والطقوس التي يمارسها الشعب اليهودي.

ج - خاتمة الرسالة

جاءت الوصايا العشر ناقصة، فكملتها عظة الجبل. أما شريعة الانتقام بالمثل فقد أُلغيت. والشريعة الرمزية ارتدت مدلولاً روحياً حقيقياً. هذا يعني أنّه لم يعد من قيمة لشريعة موسى كلّها. فما ألهم الدكالوغ هو «البذرة الروحية»^(٩٥). والإله الذي أعطى شريعة الجبل كان إلهاً دينياً. والشريعة الرمزية تصلن عن إله سقط عن عرشه.

(٩٤) مجموعة أقوال ارتبطت بالترواة الشفهية، وجمعها من التقليد رايب يهودا هاناسي، ريج جاشية ٦١.

(٩٥) Sperma pneumatikon هو الذي ألهم الدكالوغ وبعض أجزاء العهد القديم. وهنا ما يجعلنا نتميّز ما في العهد القديم وما في العهد الجديد. الشريعة قديمة ومعها بعض المقاطع النبوية، بعد أن ألهمتها البذرة الروحية (التي ليست كاملة). أما في أسس نصوص الإنجيل، فالمخلص (Sötter) هو الذي تكلم. إذن، هناك اختلاف على المستوى الروحي: نمرقة الله المطلقة لا تكشف إلا في أقوال المسيح.

يتج من كل هذا أن المشترع ليس صالحًا ولا شريرًا. هو عادل. إنما يبقى التعارض حاضرًا بين الخلق والقداء، الذي لم يجد له جوابًا. ولكن يبدو أن بطليموس عمل عمل المريي، مع امرأة يوجه إليها رسالته: هي مسيحية، وهي تعرف أن إبليس شرير والله صالح. مثل هذه المرأة تفهم تعليم مرقيون كما يلي: الشريعة تعارض الإنجيل. والتبر يعارض الصلاح. ولكنها لا تفكر أن تفهم أن الله «لجّة» و«صمت»، وروح محض يتجاوز عالم المثل. وأن الباري وإبليس اللذين يجسدان تجسيدًا رمزيًا الطيبة السامية والطبيعة الدنيئة، يُولدان من ألم سوفيا (الحكمة). تلك هي نظرة ولنطيس التي يتركها بطليموس جانبًا، ليشدّد على أن الباري هو صورة الآب، وبه خلقت السماوات والأرض، أي السماويات^(٩٦) والأرضيات^(٩٧)، وهكذا تكون القوة المضاعفة^(٩٨) الطيبة السامية والطبيعة الدنيئة.

٤ - خاتمة عامة

وهكذا نظرنا سريعًا إلى العالم الغنوصي، ولا سيّما إلى ولنطيس وبتليموس، قبل أن نتوقف على رسالة أرسلها بطليموس إلى سيّدة مسيحية من رومة، اسمها فلورا. رسالة قصيرة ترد في بضعة مقاطع في كتاب إيفانيوس، أسقف سلامية (قبرص) حول الهرطقات والداء الناجع للشفاء منها. وجدنا في هذه الرسالة نقطة الانطلاق مع ولنطيس، ولكن بطليموس تحرّر بعض الشيء من تأثير معلّمه لكي يقدم تعليلًا «راعيًا»، تعليلًا يراعي الشخص الذي يكتب إليه. لهذا ترك الأمور الماورائية والصوفية، وتوقف على السؤال الذي يشغل بال هذه المرأة التي لجأت إليه. فجاء جوابه بسيطًا في خطّ الغنوصية، ولكنه بدأ متمسكًا فيّين دور يهوه الذي خلقت الشريعة ودور المخلص الذي جاء وكمّلها، وفي النهاية

(٩٦) Psychiké: ما يتعلّق بالنفس.

(٩٧) Hylikó: ما يتعلّق بالجسد والمادة.

(٩٨) Ditté dynamis: قوّة هي في الواقع قوتان.

ألغاهما حين أعلن الأقوال الإنجيلية . وهكذا ابتعد بطليموس عن الموقف
المسيحي الذي يرى في شريعة العهد الجديد امتدادًا لشريعة العهد القديم ،
وعن موقف مرقيون الذي يرى الشرّ في شريعة العهد القديم كلّها ، بحيث
يرفض العهد القديم ويرفض معه أسفار العهد الجديد التي ترتبط من قريب
أو بعيد بكتاب التوراة والأنبياء .